الموسيقى هو علم يبحث فيه عن أحوال النغم من جهة تأليفه اللذيذ والنافر — وعن أحوال الأزمة المتخللة بين النغمات من جهة الطول والقصر. علم التأليف وهو اللحن — والثاني علم الإيقاع وهو المسمى أيضًا بالأصول. (فالنغمات) جمع نغمة بالتحريك وهي (لغة) الصوت الساذج الخالي من الحروف — و(اصطلاحًا) الصوت المترنم به. (واللحن) بالسكون (لغة) صوت من الأصوات المصوغة و(اصطلاحًا) ما ركب من نغمات بعضها يعلو أو يسفل عن بعض على نسب معلومة — (والنغم للحن كالأحرف للكلام) — ثم يرتب ترتيبًا موزونًا — أي أنه يصاغ على أحد الأوزان التي سنذكرها والدويت — والموالي — والموشح — والزجل — والقومة — وكان وكان. الفردة — وبقيد الترتيب الموزون المقامات أصولاً وفروعًا؛ لأن ترتيبها غير موزون، يسمى شيء مما ذكر لحنًا. والصوت هو ما يصدر عن كل حركة اهتزازية لجسم رنان تُحدث في الهواء ارتجاجًا الصوتية في باب خاصبه إن شاء لله). والأصول هي عبارة عن موازين للألحان لعدم اختلالها واختلال المغنيين عندما ينشدون معًا حتى لا يسبق أحدهم الآخر ولا يتأخر عنه بل يكون مجموعهم كواحد. وبما ذكر يكون الغناء. وقد أجمعت الأمم من جميع الطبقات على حبِّ الألحان ولكن ذلك حسب عاداتهم بها، لا يستلذها غيرهم ولا يفرح بها سواهم؛ والأكراد والأرمن والسوريين والزنج وغيرهم من الأمم المختلفة الألسن والطباع والأخلاق والعادات — إلا بالتعود على سماعها أو بمعرفة مواقع الطرب في لحن كان. ومن الدليل البيِّن أن لها تأثيرًا في النفوس كون الناس يستعملونها تارة عند الفرح واللذة والأعراس والولائم — وأخرى عند الحزن والغم والمصائب والمآتم — وطورًا في بيوت العبادة والأعياد — وآونة في الأسواق والمنازل وفي الأسفار والحضر وعند الراحة والتعب وفي مجلس الملوك ومنازل السوقة — ويستعملها الرجال والنساء والصبيان والمشايخ والعلماء والجهلاء والصناع والتجار وجميع طبقات الناس. وهي من الأدوية المفيدة في علاج بعض الأمراض العصبية. في رسالته: حكي أنه كان رجل مقعد لا ينصب قامته، وتفيد أيضًا لترويض الفكر بعد تعبه في المسائل المعضلة 1 قال الراجز: [illegible] ب داء راب [illegible] ي ال [illegible] رث ف [illegible] ب ي [illegible] [illegible] ي ال [illegible] ي [illegible] كح [illegible] ق) [illegible] ي (ا [illegible] ف [illegible] ن وذاك [illegible] ت ي [illegible] ع ص [illegible] دواؤه س وقال الشيخ عبد الرءوف المناوي — رحمه لله تعالى —: ينبغي للطالب عند وقوف سنه — ترويحُه بنحو شعر أو (سماع) أو حكايات؛ المعاني، وذلك لا يسلم منه أحد ولا يقدر إنسان على مكابدة ذهنه على الفهم، على التصور؛ لأن القلب مع الإكراه أشد قبولاً، وأبعد نفورًا، عمي ولكن يعمل على دفع ما طرأ عليه بترويحه بشعر أو نحوه من الأدب، [illegible] لم [illegible] إذا [illegible] فعُ [illegible] شا [illegible] دة [illegible] مل [illegible] ي ا [illegible] [illegible] ب [illegible] س [illegible] و وقيل: إن الملاذ التي عليها مدار الوجود أربعة: المأكل لعدم قيام البدن بدونه، والسماع لتعلقه بالروح وهي أشرف أجزاء الجسم، والنكاح لتعلقه بالنسل، لستر البدن، ولا يزاد في كل منها عن اللزوم، فإن زيد فيها عن ذلك حصل الإعياء، عدا السماع؛ فالزيادة لازمة فيه لغذاء الروح وراحة البدن وشفائه من الأسقام. قال أفلاطون: من حزن فليستمع الأصوات الطيبة؛ نورها، فإذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد. وكان إسكندر ذو القرنين إذا وجد في نفسه ما يُعيي مزاجه من انقباضأو حدس؛ دعا تلميذه ليحضرله العود ويضرب عليه، فيزول عنه ما كان يجده. وقال أفلاطون: إن هذا العلم لم تضعه الحكماء للتسلية واللهو، بل للمنافع الذاتية، ولذة الروح الروحانية وبسط النفس وترويق الدم، أما من ليس له دراية في ذلك، أنه ما وضع إلا للهو واللعب والترغيب في لذة شهوات الدنيا والغرور بأمانيها. قال أحد الحكماء: إن الغناء فضيلة تعذر على المنطق إظهارها ولم يتعذر على النفس وفرحت وسُرَّت بها، فاسمعوا من النفس حديثها ومناجاتها، لزينتها؛ لئلا تغرنَّكم. وقال آخر: احذروا عند سماع الموسيقى أن يثور بكم شهوات النفس البهيمية نحو زينة الطبيعة، فتميل بكم عن سنن الهدى، وتصدكم عن مناجاة النفس العليا. وقال آخر: إن أصوات آلات الطرب ونغماتها — وإن كانت بسيطة — ليس لها حروف معجم، فإن النفوسإليها أشد ميلاً ولها أسرع قبولاً؛ لمشاكلة ما بينهما؛ النفوس أيضًا جواهر بسيطة روحانية ونغمات آلات الطرب كذلك، وقال آخر: نعم وإن كانت ليست بحيوان، فهي ناطقة فصيحة، وقال آخر: إن جوهر النفس لما كان مجانسًا ومشاكلاً للأعداد التأليفية، نغمات آلات الطرب موزونة وأزمان حركات نقراتها وسكونات ما بينها متناسبة، استلذتها الطباع، وفرحت بها الأرواح، وسُرّت بها النفوس؛ والتناسب والمجانسة — وهكذا حكمها في استحسان الوجوه وزينة الطبيعيات؛ محاسن الموجودات الطبيعية هي من أجل تناسب أصباغها، وحسن تأليف أجزائها. وقال (العلامة ابن خلدون) في سبب اللذة الناشئة عن الغناء: إن اللذة هي إدراك الملائم — والمحسوس إنما تدرك منه كيفية، ملذة وإذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة تدرك منه كيفية، للمدرك، وملائمة كانت ملذة، وإذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة، الطعوم ما ناسبت كيفيته حاسة الذوق في مزاجها، الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبي البخاري؛ لأنه المدرك وإله تؤديه الحاسة؛ كانت الرياحين والأزهار والعطريات أحسن رائحة وأشدّ ملاءمة للروح؛ فيها التي هي

تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي © lakhasly.com

مزاج الروح القلبي. وأما المرئيات والمسموعات، فالملائم فيها تناسب الأوضاع في أشكالها وكيفياتها، أنسب عند النفس وأشد ملاءمة لها، المدركة فتلتذ بإدراك ملائمها — ولهذا نجد العاشقين المستهترين في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب، البداية يشهد لك به اتحادكما في الكون، بين الموجودات كما تقوله الحكماء، فتودّ أن تمتزج بما شاهدت فيه الكمال، لتتحد به، بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم إلى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ والكون. ولما كان أنسب الأشياء على الإنسان وأقربها إلى أن يدرك الكمال في تناسب موضوعها — والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة؛ كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة والضغط وغير ذلك، فيها هو الذي يوجب لها الحسن؛ فأولاً: ألا يخرج من الصوت إلى حده دفعة، بل بتدريج، هذا من افتتاح أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة المخارج، كذا منه على حسب ما يكون التنقل مناسبًا على ما حصره أهل الصناعة — فإذا كانت الأصوات على تناسبٍ في الكيفيات كما ذكره أهل تلك الصناعة، ومن هذا التناسب ما يكون بسيطًا، فيه إلى تعليم ولا صناعة، وأمثال ذلك، وتسمي العامة هذه القابلية بالمضمار، القرآن فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزامير، نغماتهم — ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب، وليس كل الناس يستوي في معرفته، ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به إذا علم، وإن حسن الصوت مما أنعم لله به على صاحبه، ﴿فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ جاء في التفسير من ذلك الصوت الحسن. الصوت الفظيع 3 فقال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ يدل مفهومه على مدح وقد ورد في الحديث الشريف: (حسنوا القرآن بأصواتكم؛ وعن أنس بن مالك (رضى له عنه) قال — قال رسول له صلى الله عليه وسلم (لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن). وقد أنكر مالك — رحمه له تعالى — القراءة بالتلحين. له تعالى عنه — وليس المراد بالتلحين تلحين الموسيقى الصناعي؛ يختلف في حظره؛ إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه؛ إلى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف لا من حيث اتباع الحركات في موضعها ومقدار المد عند من يطلقه أو يقصره وأمثال ذلك — والتلحين أيضًا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم إلا به من أجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين واعتبار أحدهما قد يُخلّ بالآخر إذا تعارضا، وتقديم الرواية متعين من تغيير الرواية المنقولة في القرآن، فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعبر في القرآن بوجه، الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه فيردد أصواته ترديدًا على نسب يدركها العالِم بالغناء وغيره، ولا ينبغي ذلك بوجه كما قال مالك، والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما ذهب إليه الإمام — رحمه له تعالى؛ محل خشوع بذكر الموت وما بعده، وليس مقام التلذذ بإدراك الحسن من الأصوات، وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي له عنهم كما في أخبارهم — وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود) فليس المراد به الترديد والتلحين، الصوت وأداء القراءة والإبانة في مخارج الحروف والنطق بها. وقال ابن غانم المقدسي — رحمه له — في كتابه (حل الرموز): إن كثيرًا من المتعمقين والمتقشفين كرهوا السماع وأنكروه أصلاً وفرعًا، وحقيقة وشرعًا، والصعق، فكيف ينسب إليهم نقصٌ وهم سالكون أتم الأحوال، تفصيل ونظر في أهل السماع واختلاف طبقاتهم — فمن صح فهمه وحسن قصده وصقلت الرياضة مرآة قلبه وجلت نسمات العزيمة قضاءسره فصفا من تصاعد الأكدار طبعه، ونجا من بشريته وخيالات وساوسه وعري عن حظوظ الشهوات، دنس الشبهات، فلا تقول إن سماعه حرام وفعله خطأ. (محاورة فلسفية) اجتمع جماعة من الحكماء والفلاسفة في مجلس ملك من الملوك ففضل أثناء المحاورة أحدهم البصر على السمع بقوله: لا أنكر أن السمع والبصر هما من أفضل الحواس الخمس وأشرفها التي وهبه الباري جل ثناؤه للحيوان، من البصر؛ لأن البصريذهب في طلب محسوساته، والسمع يحمل إليه محسوساته حتى تخدمه مثل الملوك. وقال آخر: البصرلا يدرك محسوساته إلا على خط مستقيم — والسمع يدركها من وقال آخر: محسوسات البصر أكثرها جسمانية — ومحسوسات السمع كلها وقال آخر: النفس بطريق السمع تنال خبر من هو غائب عنها بالمكان والزمان — وبطريق البصرلا تنال إلا ما كان حاضرًا في الوقت. وقال آخر: السمع أدق تمييزًا من البصر؛ يخطئ في أكثر مدركاته، فإنه ربما يرى الكبير صغيرًا والصغير كبيرًا، والبعيد قريبًا، والمتحرك ساكنًا والساكن متحركًا، والمستوي معوجًا والمعوج مستويًا. وقيل إن بعضالحكماء كان جالسًا عند بعضالملوك، السماع إذا تعود مجالس الطرب، يعني من أصل الخلقة — فأنكر عليه الملك، فأمر الحكيم بإحضار مائة طفل من بني الناس من أولاد الأمراء والوزراء والعلماء والكتاب والزراع والسوقة والعبيد وغيرهم، وأحضروا في يوم معلوم من أول النهار، أمهاتهم أن يحجبن أنفسهن عنهم نصف يوم حتى أقلقهم الجوع الشديد، إلى أمهاتهم مرة واحدة ليرضعنهم، وبينما هم مشغولون بالتغذي، آلات الطرب دفعة واحدة، وهو يضحك، ومنهم من ترك التغذي ساكنًا لا يتحرك، ويتغذى أخرى — ومنهم من جعل يحرك رجليه ويديه ولم يترك التغذي، بذل همته في التغذي ولم يلتفت، فعند ذلك ظهر للملك صحة ما قاله الحكيم، وأما تأثير السماع على الحيوان غير الناطق، بنفسها وتصغي لقراءة داود — عليه السلام —

تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي © lakhasly.com

مزاميره، [illegible]

[illegible] وال وكذلك الإبل نراها تمد أعناقها صاغية لغناء الحادي لها فتهيم وتسرع في سيرها، حتى تزعزع أحمالها، وربما أتلفت نفسها من سرعة السير مع ثقل أحمالها، تشعر بذلك بسبب نشاطها. وقد غفل في الأحيان أن أبا بكر محمد بن داود الدينوري (رضىلله عنه) قال: كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم، وأدخلني خباءه، فيه عبدًا أسود مقيدًا بقيد، ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الغلام أنت ضيف ولك أن تشفع لي إلى مولاي؛ لضيفه، ولا يرد شفاعتك في هذا القدر، لهذا العبد، فقال: إن هذا العبد أفقرني وأهلك جميع مالي، صوتًا طيبًا، وإني كنت أتعيش من ظهور هذه الجمال، لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته — فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل، ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك. فأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل قوي ليستقي الماء من بئر هناك — فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله فوقعت على وجهي فما أظن أني سمعت قط صوتًا أحسن منه. ومن قبيله ما يستعمله رعاة الغنم والبقر والخيل والحمير عند ورودها للماء من الصفير ترغيبًا لها في شربه. وقيل: إن صيادي الغزلان والدراج والقطا وغيرها لهم غناء يغنون به في وقت صيدها في ظلام الليل؛ حتى يوقعوها ويأخذوها بيدهم. والصيادون يصيدون الفيل والغزال بالسماع وآلات الطرب، رعيها فتسهو عن الرعي والهرب حتى تؤخذ وتُصاد. وكذلك السماكون بالنواحي يصطادون السمك بأصوات شجيّة. وكذلك يصيدون كثيرًا من الطيور؛ لما في الغناء من الجذبة السارية الشاغلة. وجملة القول أنه يستلذها جميع الحيوانات التي لها جامعة السمع. واختلف في الواضع، فقيل فيثاغورث، بالمطارق على التناسب، فتأمل ثم رجع وقصد أنواع المناسبات من الأصوات، له ما قصده بتفكر كثير وفيضإلهامي جمع آلة وشد عليها وترًا وأنشد شعرًا في التوحيد وترغيب الخلق في أمور الآخرة، الآلة معززة بين الحكماء ثم وضع بعدها قواعد هذا الفن — وأضاف بعدها العلماء مخترعاتهم إلى أن انتهت النوبة إلى أرسطو، لليونانيين تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس تضم بعضها إلى بعض ويركب على رأسالزق زق آخر ثم يركب على الزقاق أنابيب لها ثقب على حسب استعمال (وذكر في الإصحاح الرابع من سفر التكوين) وعرف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك. وكان يبني مدينة، فدعا اسم المدينة كاسم ابنه حنوك. وولد لحنوك عيراد. ولد محيويائيل. ومحيوبائيل ولد متوشائيل. ومتوشائيل ولد لامك. امرأتين اسم الواحدة عادة، واسم الأخرى صلة، الخيام ورعاة المواشي. واسم أخيه يوبال، الذي كان أبًا لكل ضارب بالعود والمزمار. وصلة أيضًا ولدت توبال قايين الضارب كل آلة من نحاس وحديد. قال الكامل في تاريخه — وقيل: أول من وضعه نوح — عليه السلام — واخترع العود المعروف واستخرج منه النغمات وانعدم ذلك العود عند الطوفان — ثم في عهد داود استخرج وهذب وضرب عليه. وقد ذكر في تصحيح الغلطات، السلام — واخترع العود المعهود وبعد فتنة بختنصرفُقدت تلك الآلة — وفي زمن إسكندر ذي القرنين أوجد الحكماء الكاملون بقوة الرياضة علم الموسيقى وقد ثبت أن أرسطو وبقراط وسقراط وجالينوس وأفلاطون قد استعملوا الموسيقى. وقيل إن الحكماء استخرجت الصنائع بحكمتها وعلمتها للناس ومن جملتها فن الموسيقى واستعمل كسائر الصنائع. وقيل: إن أول من وضعه جمشيد — وهو ملك من ملوك الفرس — 6 كان بمدينة اصطخر التي صارت الآن قرية صغيرة بقرب الشيراز. وكان في سلطان العجم قبل الملة الإسلامية منها بحر زاخر في أمصارهم ومدنهم، وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان لهم اهتمام بأهل هذه الصناعة، ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدهم ومجامعهم ويغنون فيها — وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل أفق من آفاقهم ومملكة من ممالكهم. بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة، كل جزء منها مستقلاً بالإفادة، لا ينعطف على الآخر ويسمونه البيت، بالتجزئة أولاً، ثم بتناسب الأجزاء في المقاطع والمبادئ، الكلام عليها، فلهجوا به، اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديوانًا لأخبارهم وحكمهم وشرفهم، في إصابة المعاني وإجادة الأساليب. شعراء بلسانهم، إلا أن فضل الأشعار العربية مشهور كما لا يخفى. وهذا التناسب الذي من أجل الأجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر تناسب الأصوات والألحان، إلا أنهم لم يشعروا بما سواه؛ ولا عرفوا صناعة، وكانت البداوة أغلب نحلهم — ثم تغني الحداةُ منهم في حُداء إبلهم، والفتيان في قضاء خلواتهم، فرجعوا الأصوات وترنموا، بالشعر غناء، وإذا كان بالتهليل أو نوع القراءة تغبيرًا بالغين المعجمة والباء الموحدة، وعللها أبو إسحاق الزجاج بأنها تذكر بالغابر، وهو الباقي أي: بأحوال الآخرة، ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره — وكانوا يسمونه السناد، عليه ويمشي بالدف والمزمار، فيطرب ويستخف الحلوم، البسيط كله من التلاحين هو من أوائلها، ولا يبعد أن تتفطن له الطباع من غير تعليم، شأن البسائط كلها من الصنائع، ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم. فلما جاء الإسلام واستولى على ممالك الدنيا وحاز سلطان العجم وغلبهم عليه، أهله من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدته في ترك عندهم

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

إلا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي هو ديدنهم ومذهبهم — فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى نضارة العيش ورقَّة الحاشية واستحلاء الفراغ وافترق المغنون من الفرسوالروم، موالي للعرب، وغنوا جميعًا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير، للأصوات فلحنوا عليها أشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب خائر مولى عبد لله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر، أخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريج وأنظاره — وما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى أن كملت في أيام بني العباس عند إبراهيم المهدي وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وابنه حماد — وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث بعده به وبمجالسه لهذا العهد — وأمعنوا في اللهو واللعب — واتخذت آلات الرقصفي الملبس والقضبان والأشعار التي يترنم بها عليه، وجعل صنفًا وحده واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج، وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة بأطراف أقبية يلبسها القيان ويحاكين الأعياد ومجال الفراغ واللهو، وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق وانتشر منها إلى غيرها. وقيل إن الفارابي 7 صنعه لمّا مات والده وجعله على طبائع الإنسان، حاذقًا، وإن شاء رخيمًا — ولكنه لم يجوف له بطنًا، ولم يثقب وجهه، بل جعله مسدودًا، فلماضرب عليه ولم يظهر له طنين بل خرس تركه وصار يقول إن أبي أخرس، تفقده في بعض الأيام وضرب عليه فظهر له صوت عال فنظر إليه فإذا الفار قد نقره فعلم أن صوته من نقر الفار، فقال هذا ليس بأبي، لقبوه به أي: بالفارابي. وأقول: هذا ليس بشيء؛ لأنها نسبة إلى فاراب، اسم المدينة أترار كما في القاموس. والفارابي لم يبدع العود قط بعد أن علم أنه من مخترعات الأمم السابقة، زاد فيه أنغامًا وأتقنه. وأيضًا ذكر صاحب الصحاح أن العود اسم آلة من آلات المعازف. والصحاح لم يذكر إلا لغة العرب، من يعتد بلغته من العرب وهو أيضًا ليس منهم، بل عجميٌّ مستعرب. (وفي أوائل السيوطي) أن أول من وضع الآلة المعروفة للغناء المسماة (بالقانون) ورتبها أبو نصرالفارابي أستاذ ابن سيناء. وقيل: إن أول من صنع العود بعض حكماء الفرس، (باب النجاة) والمعنى أنه مأخوذ منصرير باب الجنة — وقد جعل أوتاره أربعة بإزاء الطبائع الأربع — فالزير 8 بإزاء الصفراء — والمثنى 9 بإزاء الدم والمثلث 10 بإزاء البلغم — واليم 11 بإزاء السواد — فإذا اعتدلت أوتاره، ورتبت على ما يجب، وأنتجت الطرب، وهو رجع النفس إلى الحالة الطبيعية دفعة واحدة. أوتاره أربعة إلى أن ظهر زرياب وتعلم ضرب العود من إسحاق الموصلي وتمهر فيه حتى برع وفاق أستاذه وصبغ الأوتار الأربع بألوان ما هو بإزائها من الطبائع — فجعل ما بإزاء السوداء أسود — وما بإزاء اليم أحمر — وما بإزاء البلغم أبيض — وما بإزاء الصفراء أصفر، وزاد وترًا خامسًا سماه: النفس؛ لعدم قيام الطبائع الأربع بدونه. ولما أن علم إسحاق أستاذه بهذا الأمر؛ منه. فخرج ولحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس، تكرمته وركب للقائه وأسنى له الجوائز والإقطاعات والجرايات، بمكان — وهو الذي اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النسر عوضًا عن مضراب الخشب — فأبدع في ذلك للطف الريشة، كثرة ملازمتها إياه — فأورث بالأندلس صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف، وطما منها بإشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب، وانقسم على أمصارها، وقيل: إن أول من غنى على العود من العرب بألحان الفرس. النضر بن الحارث؛ وذلك أنه وفد على كسرى، فتعلمضرب العود والغناء وقدم مكة فعلَّم أهلها. وقيل: إن أول من غنى في الإسلام بألحان الفرس طويس؛ الزبير لما بنى الكعبة ورفعها، كان في بنائها صناع من الفرس يغنون بألحانهم، طويس عليها الغناء العربي، فأخذ الغناء وضرب بالعود وأتبعه من بعده. وفي (أوائل السيوطي) أن أول صوت غُني به في الإسلام كن يغني به طويس: ي أذوب [illegible] وقال السيوطي: إن أول من ضرب بالدف عند ظهور الإسلام بالمدينة المنورة [illegible] وأول غناء تغنى به النساء والصبيان في المدينة عند قدوم رسول لله صلى الله عليه وسلم بشعر داع [illegible] وأوَّل من أفسد الغناء القديم وجعل للناس طريقًا جديدًا رقيقًا بالأصوات الحزينة إبراهيم بن المهدي (أوائل السيوطي) — [وقلده المصريون جميعًا في ذلك للآن]. وأول من تغنى من العرب الحِجازية خزيمة بن سعد ويلقب بالمصطلق لحسن وأول من أحدث الحداء غلام من مضر — روي عن ابن عباس — رضيلله عنهما — كان رسول للهصلى الله عليه وسلمفي مضرفسمع صوت حاد يحدو فقال: ميلوا بنا إليه فقال: ممن القوم؟ قالوا: من مضر. فقال: أتدرون متى كان الحُداء قالوا: لا بأبينا وأمنا، أباكم مضر خرج في مال له فوجد غلامه قد تفرقت عليه إبله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وأيداه وأيداه، فسمعت الإبل صوته واجتمعت. مضر: لو اشتق من هذا الكلام مثل هذا لكان كلامًا يجتمع عليه الإبل

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

فاشتق الحُداء من وكان سلام الحادي من العرب في الدولة العباسية يُضرب المثل بحدائه، للمنصور: يا أمير المؤمنين، مر الجمَّالين بأن يظمئوا الإبل ثم يوردوها الماء، الحداء فترفع رءوسها، وتترك الشرف، [illegible] [illegible] [illegible] والحقيقة أن الموسيقى لم يعرف لها واضع، الجد وخدعه الباطل، ولم يدرك حقيقة العمران وأطوار بني الإنسان، والقبائل الوحشية لها ألحان وأنغام تلائم طبعها تناسب حالها — نعم إنها تختلف في الأمم اختلافًا هائلا وتتباين تباينًا عظيمًا، العلم والحضارة — فالذي ينظر مثلاً إلى الزنجي في أفريقيا — والأديب في أوربا يضع كل واحد منهما في كفة ميزان — يرى أن الأول كأنه بالنسبة إلى الآخر ليس من نوع الفرق الذي تراه في شكلهما وعلمهما تراه بين لحنهما وغنائهما. وقصارى القول في الموسيقى أن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والحمير بالصفير كما علمت — ويزيد ذلك تأثيرًا إذا كانت الأصوات متناسبة كما في مواطن حروبهم (الآلات الموسيقية) لا طبلاً ولا بوقًا فيحدق المغنون بالسلطان في موكبه بآلاتهم، ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستمالة. أن في حروب العرب الأقدمين من كان يتغنى أمام الموكب بالشعر ويطرب، الأبطال بما فيها ويسارعون إلى مجال الحرب وينبعث كل قِرن إلى قرنه — وكذلك زناتة من أمم المغرب يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف، الرواسي، ويبعث على الاستمالة من لا يظن بها، وأصله كله فرح يحدث في النفس، وهذا الفن آخر ما يحصل في العمران من الفنون؛ الوظائف إلا وظيفة الفراغ والفرح، وتراجعه كما هو واقع بالشرق الآن. وفي لفظه لغتان إحداهما موسيقي بمثناتين تحتيتين بينهما قاف مكسورة (والأخرى) موسقي بحذف الياء الأولى — وعلى كل من اللغتين، الواو وكسر السين المهملة كلمة يونانية معناها علم النغمات والألحان — وكان هذا هو الأصل فيه، ثمصار عَلَمًا على هذا العلم في سائر اللغات، ويسمون المغني: المطرب، المجيد: (موسيقار) والآلة التي يصور بها كالعود وغيره (موسيقيري) حسبما يظهر من تتبع كلامهم، حيث قالوا: كل صناعة متعلقة باليد فموضوعها الجسم الطبيعي، الموسيقيري، فموضوعها الصوت المشتمل على الألحان المخصوصة، تعلق الصناعة باليد إنما يجري في الآلة فقط وبعضهم يسمى المغني (بالموسيقان) وآلة 1) فمن المستحسن أن يسمعها إذًا مثل القضاة والمحامين والمؤلفين والمخترعين) لتخفف عنهم كد الأذهان وتعب النفوس. 2) فإذا كانت آلات الطرب في صدحها وأصوات الطيور في تغاريدها تطرب ولا) 3) (نكتة) حكي أنه سمع فيلسوف نغمات آلات الطرب مع التلحين فقال لتلميذه:) امضينا نحو هذا الموسيقار لعله يفيدنا صورةشريفة — فلما قرب منه سمع لحنًا غير موزون ونغمة غير طيبة فقال لتلميذه: زعم أهل الكهانة أن صوت البوم يدل على موت إنسان، فإن كان ما قالوا حقًا فصوت هذا الموسيقار يدل على موت البوم. 4) راجع الإحياء للغزالي — وكتاب إيضاح الدلالات، في سماع الآلات للنابلسي. 5) وهي التي أخذ منها على ما أظن القرب الموسيقية التي يستعملها العسكر الآن. 6) بدليل أن أكثر أسماء النغمات فارسية. 7) من أراد الاطلاع على ترجمته، فليراجع ابن خلكان. 11) مختلف فيه بين أنه اليكاه أو — (قرار البوسلك).